
الديوث
إعداد
الدكتور عصام الدين إبراهيم النقيلى

الديوث

إعداد

الدكتور عصام الدين إبراهيم النقيلي


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

يا ناظرًا فيمَا عمدتُ لجمعــــــهِ * عذرًا فإنَّ أخَا البصيرةِ يعــــــذرُ

واعلمْ بأنَّ المرءَ لوْ بلغَ المـــدَى * في العُمرِ لاقَى الموتَ وهوَ مقصِّرُ

فإذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافْتحْ لــــــــهَا * بابَ التَّجاوزِ فالتَّجاوزُ أجـــــدرُ

ومنَ المحالِ بأن نرَى أحدًا حوَى *كُنهَ الكَمالِ وذَا هوَ المتعــــــذِّرُ[1]

---

(1) عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد".



{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: 34].

مقدِّمةٌ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنَا ومنْ سيِّئاتِ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلَا مضلَّ لهُ ومنْ يضللْ فلَا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لَا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسولهُ ﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلَاتَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا و بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً وَّاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيبًا}[النساء: 1].

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْلَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: 70 – 71].

أمَّا بعدُ: "فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالَى، وخيرُ الهديِ هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتهَا، وكلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ فِي النَّارِ[1].

---

(1) أما بعدُ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهدي هديُ محمدٍ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ أتتْكم الساعةُ بغتةً – بُعِثتُ أنا والساعةُ هكذا – صبحَتْكم الساعةُ ومستْكم – أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه – من ترك مالًا فلأهلِه – ومن ترك دَيْنا أو ضَياعًا فإليَّ وعليَّ – وأنا وليُّ المؤمنين.

الراوي : جابر بن عبدالله، المصدر : صحيح الجامع، الرقم: 1353.

التخريج : أخرجه النسائي في (المجتبى) (3/ 188)، وأحمد (3/ 310) باختلاف يسير.

وبعد: فإنَّ الفطرة السليمة والجبلَّة الأصليَّة في الإنسان هي الغيرة على أهله، فقد كان سلفنا الصالح أشد الناس غيرة على نسائهم، وكيف لا وغيرة الرجل على نسائه هي مظهر من مظاهر الرجولة؛ لأنَّها تتجلَّى في صيانة العرض وحفظ الحرمات، فضلا على أنَّ الغيرة مأمور بها شرعا تصريحا وتلويحا، فقد كان سلفنا الصالح يتباهون بغيرتهم، بل كانت نساؤهم تتباهى بغيرة رجالهم عليهم، وكان الحال كذلك حتى ترك المسلمين دينهم بتقليدهم لدول الاستعمار، الذي ما انفكَّ يهاجم الإسلام فلم يجد له سبيلا إلَّا عن طريق نساء المسلمين، بحجَّة المساوات بين الذكر والأنثى في الحقوق، فما خرج الاستعمار من بعض دول المسلمين حتى ركَّز فيهم عقائده المنحطَّة التي تتمحور في حريَّة المرأة الذي بدورها انجرَّ عنها تعرِّي النساء بكل معنى الكلمة، فابتدروا بنزع النقاب وذلك عن طريق مشايخ الضلال الذين أفتوا بذلك في عصر الفتنة، والصحيح أنَّه حتَّى ولو كان في وجوب النقاب خلاف فهو في وقت الفتنة واجب بالضَّرورة، ثمَّ كان بعد ذلك طلب استقلال المرأة عن تبعيَّة الرَّجل، فمنع من أمرها ونهيها، فقد كان الرجال حينها فيهم شيئٌ من الغيرة ولكنَّهم قُيِّدوا بالتخويف والترهيب، فبقى الأمر كذلك حتى دخل عليهم ما يُسمُّون بالفنَّانين، فزادوا الطين بلَّة، فأرادت المرأة المسلمة تقليد الفنانين في اللباس، بدعم من زعم حرِّية المعتقد واللباس والمساوات بين الجنسين، ومعاقبة القانون على نهي المرأة بالقوة، فنشأ بعد ذلك جيل جديد لم يرى أصل المرأة الحييَّة الدَّيِّنة، فضاعت جبَّلته وفطرته السليمة، بين بحور ضلالات التقليد، وبين مجتمع لا ينكر على المرأة شيأ، فأصبح الأمر عنده سيان، بل وصل الأمر إلى التنكير على المرأة المحجَّبة الساترة لبدنها، وبقى الحال كذلك حتَّى صار الرِّجال في بعض الدول الإسلاميَّة لا يهتمُّون بلباس زوجاتهم وبناتهم، بل يشترون لهم ذلك اللباس المغري الفتَّان للرجال ويتباهون بذلك، بل يحملون بناتهم للبحار كي يسبحن عراة، ولا حول ولا قوَّة إلى بالله العلي

العظيم، ونسوا وعيد رسول الله ﷺ للديوث، بقوله: "ثلاثٌ لا يدخلون الجنةَ ولا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ العاقُّ والدَيه والمرأةُ المترجلةُ المتشبهةُ بالرجالِ والديوثُ"[1]، فيا ويح هؤلاء من غضب الله تعالى، فهذا داء عضال لا يصاب به إلَّا عديم المروءة، فيعجب المرء حين يرى هؤلاء من أشباه الرجال يشترون لنسائهم الثياب التي تكشف أكثر مما تستر، وتشف وتصف مفاتن الجسد، وهو فرحٌ باطلاع الناس على عورات نسائه، مفاخر بتحررهنَّ من العفة والفضيلة وسيرهنَّ في طريق الفاحشة والرذيلة، ومثل هذا ميت في لباس الأحياء، ولمَّا كثر هذا الأمر في بلد المسلمين حتى اعتادوه ونبَّه المشايخ على الأمر حتَّى نسوه، ثمَّ تهاونوا في هذا الموضوعِ حتَّى أضاعوه، فأردت تجديد الذكر لعلَّهم يتداركون ما وراء أظهرهم رموه، فكتبت هذه الصفحات راجيا من الله تعالى أن يفتح بها بصائر المسلمين لعلَّمهم يرجعون، وأسأل الله تعالى العفو والعافية والسلامة في الدنيا والآخرة، وأسأله سبحانه أن يقبل مني هذا العمل البسيط فإنَّه جواد كريم رحيم.

وكتب: الدكتور عصام الدين إبراهيم النقيلي

(1) مسند أحمد 6180.

الفصل الأوَّل

تعريف الديوث

الديوث لغة:

الديوث: صفة مشبه من اسم الفاعل للفعل داثَ.

والديُّوث: صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من داثَ.

والدِّياثة: مصدر داث.

وداث يديث ديثا إذ لان وسهل.

تقول: دَيّثَ فلانا: ذلَّلَهُ حتى لان وسَهُلَ وانْقاد.

وديَّثَ الطرثق: وطأهُ وذلَّله.

ودَيّثَ الحَيوانَ والإنسانَ: ذلّلَهُ بعض التَّذْلِيل[1].

والديوث ملقَّبٌ بالقنذع: والقنذع والقنذوع هو الموصوف بالقبح والفحش.

وفي حديث وهب: ذلك القنذع هو الديوث الذي لا يغار على أهله.

قال الأزهري: وهذا راجع في المخازي والقبائح[2].

وقال الجوهري: الديوث: القنذع: وهو الذي لا غيرة له.

وقال ابن الأثير: وفي حديث علي «وديث بالصغار» أي ذلل، والديوث: هو الذي لا يغار على أهله، وقيل: هذا اللفظ سرياني معرب، أي ليس له أصل في العربية يشتق منه[3].

فلو تلاحظ أنَّ كلمة الديوث في اللغة تجمع معاني الذل والانقياد والخزي والقبح، ولا يبعد التعريف اللغوي عن التعريف الاصطلاحي.

---

(1) المعجم الوسيط مادة داث، معجم اللغة العربية المعاصر، جامع المعاني، القاموس المحيط،

(2) لسان العرب 198.

(3) كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم 498/10.

الديوث اصطلاحا:

الديوث: أخذ شهرته من تعريفه الشرعي في الإسلام، ويتصور كثيرون أنه يكافئ القواد، وهو ليس كذلك، فالقواد هو من يدير عمل العاهرة سواء كانت قريبة له أم لا، أما الديوث شرعا فهو: من يرضى الفجور في أهله حتى لو لم يكن هذا الفجور زنا، وقال ابن منظور: الديوث هو الذي لا يغار على أهله[1].

قال ابن تيمية– رحمه الله تعالى–: إن المرأة إذا كانت زانية فإنها لا تحصن فرجها عن غير زوجها، بل يأتيها هو وغيره كان الزوج زانيا ديوثا أما كونه زانيا فلأنه يشترك هو وغيره فيها، فشأنه وشأنهم سواء، وهذا حال الزناة، وأما كونه ديوثا فلأنه أقر على أهله الزنا وهو يعلم بذلك. وفاعل ذلك إما مشرك أو زان ليس من المؤمنين الذين يمنعهم إيمانهم من ذلك وقد رضي لنفسه بالقيادة والدياثة، وهذا الفعل منه مخالف للفطرة ونقل لها عن طبيعتها، إذ قد جعل الله في نفوس بني آدم من الغيرة ما هو معروف، بحيث يستعظم الرجل أن يطأ رجل آخر امرأته أعظم من غيرته على نفسه أن يزني، فإذا لم يكره أن تكون زوجته بغيا فهو ديوث، ولا يوجد ديوث قواد إلا وهو زان لأنه إن لم يكن معه إيمان يكره به زنا غيره بزوجته كيف يكون معه إيمان يمنعه من الزنا؟

---

(1) لسان العرب 456/4.

(2) مجموع الفتاوي (15/ 318– 320) بتصرف شديد.

فالدَّيوث اختصارا هو: من رضى بفجور أهله، وقد أخطأ البعض في تعريفهم الدياثة حيث قيَّدوها بممارسة الجنس مع أهله صراحة برضائه، وهذا غير صحيح فالديوث هو الراضي بفجور أهله بأي نوع من أنوا الفجور، فقد وصف الشرع المتبرجة بالزانية فقد قال النبي ﷺ: "أيما امرأةٍ استعطرتْ فمرتْ على قومٍ ليجدوا من ريحِها فهي زانيةٌ"(1).

فها هو النبي ﷺ يصف المرأة المتعطِّرة قصد جلب اتنباه الرجال بالزنا، ومن المعلوم أنَّ الألفاظ الشرعيَّة تؤخذ على ظاهرها، فلو قلت إنَّها زانية على الحقيقة لصدقت، ولو قلت أنَّها ستحاسب على الزنا يوم القيامة مع أنَّها لم تزنا حقيقة لصدقت، ولو قلت أنَّ من رضا من أهلها بذلك فهو ديوث لصدقت.

وعلى هذا فإن كانت المتعطِّرة زانيَّة فمن باب أولى المتبرجة، ومن باب أولى من عرَّت من جسمها أكثر مما سترت، فلو حق القول على الراضي بتعطُّر أهله والخروج كذلك بأنَّ فيه من الدياثة، فمن باب أولى من رضى بتبرج أهله وعدم الإنكار عليهن، فهذا النوع هو ديوث خالص.

الفصل الثاني

وعيد الشارع للديوث

قد توعد الشارعِ أهل الدياثة في أكثر من موقع في الكتاب والسنَّة فمن ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[التحريم: 6].

قال الطبري: وقوله: (وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار، وعن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه في قوله: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قال: علِّموهم، وأدّبوهم[2].

والأولى بالعناية في الأهل هم النساء فهن أكثر عرضة للفتن من الذكور قال النبي ﷺ: "يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ؛ فإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ. فَقُلْنَ: وبِمَ ذلكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، ما رَأَيْتُ مِن نَاقِصَاتِ عَقْلٍ ودِينٍ أذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِن إحْدَاكُنَّ"[3].

فلو تلاحظ أنَّ الكلام هنا عن الصَّحابيَّات وهن من خيرة خلق الله تعالى، فما بالك بمن هن دونهن، وبه قال ﷺ: "كَمَلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيرٌ، ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّساءِ إلَّا مَرْيَمُ بنْتُ عِمْرانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وفَضْلُ عائِشَةَ علَى النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ علَى سائِرِ الطَّعامِ"[4].

---

(1)رواه النسائي عن أبي موسى الأشعري 5141.

(2) تفسير الطبري.

(3) رواه البخري 1462، ومسلم 80.

(4) رواه البخاري 3769.

وفي روايات أخرى ذكر معهما خديجة وفاطمة، وعلى العموم فقد انتفى الكمال عن المرأة إلَّا عن عدد قليل منهن، وتمَّ الكمال عند كثير من الرجال إلا عن عدد قليل منهم، والكمال المقصود هنا هو كمال الدين، فالواجب على العاقل أنْ يهتمَّ بنسائه بالتأديب كي يقي نفسه وإيَّاهن من النَّار.

فقد قال النبي ﷺ: "ثلاثةٌ قد حرَّم اللهُ عليهمُ الجنةَ، مُدمنُ الخمرِ، والعاقُّ، والديُّوثُ الذي يُقرُّ في أهلِهِ الخبَثَ"[1].

وقال ﷺ: ثلاثةٌ لا ينظرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إليهم يومَ القيامةِ؛ العاقُّ لوالِدَيهِ، والمرأةُ المترجِّلةُ، والدَّيُّوثُ، وثلاثةٌ لا يدخُلونَ الجنَّةَ؛ العاقُّ لوالِدَيهِ، والمدمِنُ على الخمرِ، والمنَّانُ بما أعطى"[2].

وقال ﷺ في ما يرويه عن ربه، قال تعالى: وعزَّتى لَا يسكنهَا مدمنُ خمرٍ ولَا ديوثٌ قالُوا: يَا رسولَ اللهِ ومَا الدَّيوثُ؟ قالَ: منْ يقرُّ السُّوءَ فِي أهلهِ[3].

فهذا كلُّه وعيد للدَّيوث بالخزي والعار في الدنيا وفي الآخرة، حتَّى أنَّ بعض المجتمعات من غير المسلمين كانوا لا يرضون بهذا، فها هي الصين ترفض كل أوجه الدياثة، ففي الثقافة الصينية، ترمز القبعة الخضراء للديوث، فقد كان في السابق لزاماً على أسرة العاهرات ارتداء القبع الخضراء لتمييزهم عن غيرهم، فهذا الحال عند غير المسلمين، بل كانت الغيرة سيمة من سيم الرجال حتى في الجاهليَّة، فقد كانت تملؤهم الغيرة، حتَّى بلغ بهم الغلو في ذلك أن دفنوا بناتهم في التراب خشية السبي، حتَّى جاء الإسلام ومنع ذلك وأنزل الله تعالى فيهم بعد الإسلام آياته فقال تعالى: "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ"[التكوير: 8 – 9].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده حسن الإسناد بكثرة الطرق وصحيح المتن.

(2) رواه النسائي عن عبد الله عمر 2562.

(3) رواه الخرائطى في مساوئ الأخلاق عن عبدالله بن الحارث بن نوفل، وعبدالله بن الحارث بن نوفل تابعى ثقة ولد في عهد النبي ﷺ وروى عنه مرسلاً.

فقد كانوا يدفنون بناتهم أحياء خشية أن تُسترقَّ بسبب دين أبيها أو تسبى بسبب الحرب، فغيرةً على عرضه كان يدفنها، نعم هذا العمل غاية في البشاعة، وقد جاء الإسلام ومنع هذا الإجرام، وأعطى للمرأة حقيقا ما كانت تتخيلُّها، ولكن مع ذلك أكَّد الشارع الحنيف وجوب طاعة النساء لبعولهتنَّ والبنات لأبائهن، وأكَّد عليهنَّ لزاما على لزوم عفَّتهنَّ وتوعَّدهنَّ بشديد العقاب لو يفرطن في عفَّتهنَّ، وأكد على غيرة الرجال على أعراضهم وأمر بها وحثَّ عليها ومدح أهلها، فقد قال النبي ﷺ: "مَنْ قتِلَ دُونَ مالِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أهلِهِ فهوَ شَهيدٌ"[1].

وهذا تشجيع على فضيلة الغيرة بأن أهداه الله تعالى فضل الشهادة إن مات دون عرضه.

وقد أمر الله تعالى بتأديب النساء فقال تعالى: "وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا"[النساء: 34]، فقد أمر الله المسلم أن يعض زوجته فإن أبت يهجرها في المضجع، فإن أبت يضربها، وكل هذا لمجرَّد النشوز وهو الاستعلاء، قال الطبري في شرح الآية: استعلاءهن على أزواجهن، وارتفاعهن عن فرشهم بالمعصية منهن، والخلاف عليهم فيما لزمهن طاعتهم فيه، بغضا منهن وإعراضا عنهم، وأصل النشوز الارتفاع، ومنه قيل للمكان المرتفع من الأرض نشز ونشاز[2].

---

(1) صحيح رواه الترمذي عن سعيد بن زيد 1421.

(2) تفسير الطبري.

وقال النبي ﷺ: " فإنْ فعَلْنَ ذلك (أي: النشوز) فاضرِبوهنَّ ضربًا غيرَ مُبَرِّحٍ، ولهنَّ عليكم رِزقُهنَّ وكِسوتُهنَّ بالمعروفِ"[1].

فكل ما سبق ذكره هو لمجرَّد النشوز ألا وهو استعلاء المرأة على زوجها فما بال أقوام تخرج نساؤهم شبه عاريات ولا يحرك ساكنا ولا يغار، ورب الأرباب سبحانه وتعالى يغار، وخير خلقه ﷺ، وخير الخلق بعد الأنبياء والرسل صحابة الرسول ﷺ يغارون، والمؤمنون الصادقون يغارون.

وأمَّا حكم الدياثة:

فقد عد الذهبي الدياثة من الكبائر ثم قال: فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينا وهو عاجز، أو صداقا ثقيلا، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضي وتطلب فرضهم، فهو دون من يعرض عنه، ولا خير فيمن لا غيرة له[2].

وخلاصة فالديوث لو مات من غير توبة، فهو موعود بما وعده الله ورسوله ﷺ، بقوله: ثلاثٌ لا يدخلون الجنةَ ولا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ، العاقُّ والدَيه، والمرأةُ المترجلةُ المتشبهةُ بالرجالِ، والديوثُ[3].

فالجنَّة محرَّمة على الديوث، إن مات دون توبة.

---

(1) صحيح رواه الطبري في تفسيره 392/2/3.

(2) الكبائر ص 137

(3) مسند أحمد 6180.

الفصل الثالث

الغيرة

الغيرة لغة:

الغَيْرة بالفتح المصدر من قولك: غار الرجل على أَهْلِه والمرأَة على بَعْلها تَغار غَيْرة وغَيْرًا وغارًا وغِيارًا والغَيْرة هي الحَمِيَّة والأَنَفَة[1].

الغيرة اصطلاحا:

الغَيْرة: كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه[2].

وقال الراغب الأصفهاني: الغَيْرة ثوران الغضب حماية على أكرم الحرم، وأكثر ما تراعى في النساء[3].

فوائد الغيرة:

1 – الغَيْرة دليل على قوة الإيمان بالله.

2 – خصلة يحبها الله سبحانه وتعالى.

3 – هي السياج المعنوي لحماية الحجاب، ودفع التبرج والسفور والاختلاط[4].

4 – الغَيْرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغَيْرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة[5].

---

(1) انظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (401/3)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص 232). و((لسان العرب)) لابن منظور (34/5).

(2) ((الكليات)) لأبي البقاء الكفوي (ص 671). وبنحوه قال الجرجاني: (الغَيْرة كراهة شركة الغير في حقِّه) ((التعريفات)) (ص 163).

(3) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص 347).

(4) ((حراسة الفضيلة)) لبكر أبو زيد (ص 87).

(5) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص 68).

5 – هي من الأسباب الدافعة لإنكار المنكر.

6 – تطهر المجتمع من الرذائل.

7 – الغَيْرة سبب لصون الأعراض.

وقال ابن القيم: إن أصل الدين الغَيْرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغَيْرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغَيْرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة، ومثل الغَيْرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلًا، ولم يجد دافعًا، فتمكَّن، فكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي الجاموس التي تدفع بها عن نفسه وولده، فإذا تكسرت طمع فيها عدوه[1].

وقال الراغب الأصفهاني عن الغيرة: جعل اللَّه سبحانه هذه القوة في الإنسان سببًا لصيانة الماء وحفظًا للإنسان، ولذلك قيل: كلُّ أمة وضعت الغَيْرة في رجالها وضعت العفة في نسائها، وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانته[2].

---

(1) الجواب الكافي (ص 68).

(2) (الذريعة إلى مكارم الشريعة) (ص 347).

من مظاهر عدم الغيرة:

عندما تتجاهل البشرية طريق ربها، وتنحرف عن مبادئها، فإنها تفقد كرامتها وعزتها، حتى إنها لتلحق بالبهائم التي لا تراعي خلقاً ولا تؤمن بمبدأ.

وقد حفل التاريخ البشري بصور مخزية من مظاهر ضعف الغيرة، وهي في الواقع صفحات سوداء في التاريخ، ووصمة عار في جبين الإنسانية.

فمن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي

يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم[1].

قال ياقوت الحموي في كلام عن إحدى القبائل، قال: والزنا بينهم كثير غير محظور وهم أصحاب قمار يقامر أحدهم غيره بزوجته وابنه وابنته وأمه فما دام في مجلس القمار فللمقمور أن يفادى ويفك فإذا انصرف القامر فقد حصل له ما قمر به يبيعه من التجار كما يريد، والجمال والفساد في نسائهم ظاهر وهم قليلو الغيرة فتجيء ابنة الرئيس فمن دونه أو امرأته أو أخته الى القوافل إذا وافت البلد فتعرض للوجوه فإن أعجبها إنسان أخذته إلى منزلها وأنزلته عندها وأحسنت إليه وتصرف زوجها وأخاها وولدها في حوائجه ولم يقربها زوجها مادام من تريده عندها إلا لحاجة يقضيها ثم تتصرف هي ومن تختاره في أكل وشرب وغير ذلك بعين زوجها لا يغيره ولا ينكره[2].

وقال ابن بطوطة في وصف (إيوالاتن): ولنسائها الجمال الفائق وهن أعظم شأنا من الرجال وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب فأما رجالهم فلا غيرة لديهم ... وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات ...

والنساء هنالك يكون لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك.

---

(1) رواه البخاري 5127.

(2) معجم البلدان ج: 3 ص: 443.

ودخلت يوما على القاضي بايوالاتن بعد إذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بديعة الحسن فلما رأيتها ارتبت وأردت الرجوع فضحكت مني ولم يدركها خجل وقال لي القاضي لم ترجع إنها صاحبتي فعجبت من شأنهما فإنه من الفقهاء الحجاج وأخبرت أنه استأذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبته لا أدري أهي هذه أم لا فلم يأذن له.

ودخلت يوما على أبي محمد بن يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحتبه فوجدته قاعدا على بساط وفي وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان فقلت له ما هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها فقال هو صاحبها فقلت له أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع فقال لي مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها ولسن كنساء بلادكم فعجبت من رعونته وانصرفت عنه فلم أعد إليه بعدها واستدعاني مرات فلم أجبه[1].

وبعد هذه القرون السالفة حل هذا الزمن، زمن التقدم والحضارة بفتنه وشهواته ليضيف فجَّاره وأشقياؤه إلى صفحات التاريخ الغابر صوراً أبشع مما سطره أسلافهم وأشنع، ففشت الفاحشة واستُمرِئت، وانتشرت الرذيلة وقُنِّنت، وانطفأت نار الغيرة في قلوب أشباه الرجال وخبت.

فلقد بلغت فئام من البشر اليوم دركاً منحطاً من اللا أخلاقية والبهيمية لم تبلغه المجتمعات الجاهلية الأولى.

---

(1) رحلة ابن بطوطة ج: **2** ص: **777 – 777**.

فلا يمكن أن نحصي صور الانحلال الخلقي المشين والانتكاس البهيمي المهين التي عم عارها واستعرت نارها في عامة المجتمعات، وبالأخص في المجتمعات الغربية الكافرة.

والأسرة المسلمة حرسها الله تعالى، لم تكن بمعزل عن هذه المجتمعات المأفونة، فقد أجلب عليها أعداؤها بخيلهم ورَجِلهم ليفسدوا أخلاقها، ويصدوها عن دينها، حتى ظهرت في مجتمعات المسلمين مظاهر شتى من الفساد الخلقي فمُقِلٌّ ومستكثر.

وإن تعجب من تفشي هذه المظاهر في البلاد المسلمة، فالعجب الأكبر من قبول كثير من المسلمين ورضاهم بها حتى أصبحت الغيرة على حرمات الله في قلوبهم نسياً منسياً.

ونعرض في مايلي طرفاً من مظاهر الدياثة عند بعض المسلمين:

أوَّلا: من أعظم مظاهر الدياثة، ما يقع من فعل الفاحشة بالمحارم أو المتاجرة بأعراضهن.

وقد جاء من الوعيد الشديد على الدياثة ما يطير منه فؤاد المؤمن خوفاً ورهبة فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث[1].

---

(1) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (3052).

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرَّجُلة من النساء، ومدمن الخمر[1].

قال المناوي: والديوث فيعول من ديثت البعير إذا ذللته ولينته بالرياضة فكأن الديوث ذلل حتى رأى المنكر بأهله فلا يغيره، ورجلة النساء بفتح الراء وضم الجيم وفتح اللام أي المتشبهة بالرجال في الزي والهيئة لا في الرأي والعلم فإنه محمود.

وقال الذهبي فيه أن هذه الثلاثة من الكبائر، قال: فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها فهو دون من يعرس عليها ولا خير فيمن لا غيرة فيه، والقوادة التي لا تزال بالحرة حتى تصيرها بغياً عليها وزران[2].

ثانيا: تهافت الناس زرافات ووحداناً على السفر إلى بلاد العهر والفجور ليعرضوا أزواجهم وبناتهم للفتن، فما إن وحرجوا من بلاد المسلمين ألا ويكون الحجاب نسياً منسياً إما بإقرار الزوج وتلك عظيمة ، وإما بأمره وهذه أعظم.

ثالثا: رضاء الولي بسماع بناته للمعازف، واتِّباع الفاسقات.

وقد نزل الحطيئة برجل من العرب ومعه ابنته مليكة فلما جنه الليل سمع غناء فقال لصاحب المنزل: كف هذا عني فقال: وما تكره من ذلك فقال: إن الغناء رائد من رادة الفجور ولا أحب أن تسمعه هذه (يعني ابنته) فإن كففته والإ خرجت عنك[3].

---

(1) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (3062).

(2) فيض القدير ج: 3 ص: 327.

(3) إغاثة اللهفان ج: 1 ص: 246.

وعن خالد بن عبد الرحمن قال: كنا في عسكر سليمان بن عبد الملك فسمع غناء من الليل فأرسل إليهم بكرة فجيء بهم فقال: إن الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة، وإن الفحل ليهدر فتضبع له الناقة، وإن التيس لينب فتستحرم له العنز، وأن الرجل ليتغنى فتشتاق إليه المرأة ثم قال: اخصوهم فقال عمر بن عبد العزيز: هذه المثلة ولا تحل فخل سبيلهم، قال: فخلى سبيلهم(1).

رابعا: إعطاء الحرية المطلقة للمرأة، فما انجرَّ عن إطلاق حريتها بدون تقييد إلَّا انحلالاها، ومن أعطى الحريَّة من بابه عليم بما سينجر عنه.

وقد كان سيف الدين غيوراً شديد الغيرة، لم يترك أحداً من الخدم يدخل دور نسائه إذا كبر، إنما يدخل عليهن الخدم الصغار(2).

خامسا: تساهل بعض الرجال في ذهاب نسائه إلى الطبيب الرجل ليكشف على عوراتهن بل وأحياناً العورة المغلظة بدعوى الحاجة إلى العلاج مع عدم مراعاة الضوابط الشرعية، ومنها: الحاجة إلى التداوي، ألا يلجأ إلى الطبيب الرجل إلا إذا عدمت الطبيبة، وألا يلجأ إلى الطبيب الكافر إلا إذا عدم المسلم، وأن يكون الكشف بحضور محرم المرأة لعموم تحريم الخلوة والأمر هنا أشد، أن يقتصر الكشف على موضع الحاجة فقط دون غيره.

(1) إغاثة اللهفان ج: 1 ص: 246.

(2) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية ج: 3 ص: 62.

سادسا: انتشار الألبسة الفاضحة المخلة بالحياء في أوساط النساء، كالألبسة العارية والبنطلونات التي تصف جسد المرأة، بل وحتى العباءة وغطاء الرأس لم يسلما من الحملة الشرسة على شخصية المرأة المسلمة في لباسها وحشمتها وعفافها.

وإن تعجب من امرأة تمشي أمام الناس بهذه الملابس، فالعجب كله من رجل يمشي بجوارها لا يحرك ساكناً ولا ينكر منكراً، وإذا نوصح أزبد وأرعد واتهم الناصح الغيور بالتدخل في شئونه الخاصة، والله المستعان.

بل قد وجد من بعض ضعفاء الإيمان وأتباع كل ناعق ممن بهرتهم حضارة الغرب فانطفأت نار الغيرة في قلوبهم أن أحدهم يأمر أهله بارتداء هذه الملابس وعدم الالتزام بالحجاب لأنه؛ كما يزعم من التخلف والرجعية، ولله المشتكى.

أسباب ضعف الغيرة، وانتشار الدياثة:

1 – عدم قبول شرع الله تعالى حاكما، وهو من أصل عدم الإيمان أو قلَّته.

فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وبقدر إيمان العبد تكون غيرته وتعظيمه حرمات ربه، ومثل المعصية والغيرة كمثل الماء والنار، فكلما هاجت أمواج المعصية خبت نار الغيرة في القلب، تراكم ثلج الدياثة فيه.

قال ابن القيم: ومن عقوباتها (أي المعاصي) أنها تطفيء من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، فإن الغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة، كمال يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد، وأشرف الناس وأعلاهم قدراً وهمة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته، عموم الناس، ولهذا كان النبي ﷺ أغير الخلق على الأمة والله سبحانه أشد غيرة منه.

فالغيور قد وافق ربه سبحانه في صفة من صفاته ومن وافق الله في صفه من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه، وأدخلته على ربه وأدنته منه وقربته من رحمته وصيرته محبوباً له.

ولو لم يكن في الذنوب والمعاصي إلا إنها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف بها لكفى بها عقوبة ... والمقصود أنه كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب جداً لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك، وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح بل يستحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له ويدعوه إليه ويحثه عليه ويسعى له في تحصيله، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله والجنة عليه حرام، وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه لغيره، فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة وهذا يدلك على أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش ، وعدم الغيرة تميت القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة[1].

2 – الغزو الفكري بوسائله المتعددة: فقد انخدع كثير من المسلمين بحضارة الغرب فأملى لهم الشيطان ألَّا حضارة ولا تقدم إلا بنقل أنماط الحياة الغربية على كافة المجالات إلى المجتمعات الاسلامية، يؤيدهم في هذا ما تسعى إليه الأمم الكافرة من عولمة المجتمعات على الطريقة الغربية.

(1) الجواب الكافي ج: 1 ص: 43 – 45.

3 – ضعف قوامة الرجل ، والحب الوهمي المفرط الذي يضعف سلطته على أهله، فمن المؤسف حقاً ما تشهده بعض بيوت المسلمين من انهيار مبدأ قوامة الرجل على أهل بيته، فالأمر والنهي بيد الزوجة التي لا تُسأل عما تفعل، أما الزوج المحترم فالويل ثم الويل له إن سأل فضلاً عن أن يأمر أو ينهى، وقلت الحب المفرط الوهمي، لأنَّ الحب الحقيقي، هو مدعِّمٌ للغيرة، فإمَّا الديوث بسبب حبِّه لمحبوبه فماهو إلَّا واهم.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وقوله: {السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}[يوسف: 33]، بصيغة جمع التذكير وقوله: {كَيْدَهُنَّ} بصيغة جمع التأنيث ولم يقل مما يدعينني إليه دليل على الفرق بين هذا وهذا وأنه كان من الذكور من يدعوه مع النساء إلى الفاحشة بالمرأةظ، وليس هناك إلا زوجها وذلك أن زوجها كان قليل الغيرة أو عديمها وكان يحب امرأته ويطيعها، ولهذا لما اطلع على مراودتها قال: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ}[يوسف: 29]، فلم يعاقبها ولم يفرق بينها وبين يوسف حتى لا تتمكن من مراودته، وأمر يوسف أن لا يذكر ما جرى لأحد محبة منه لامرأته ولو كان فيه غيرة لعاقب المرأة[1].

(1) مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 119.

ونقل ابن القيم عن بعض أهل العلم قولهم: الرجال أغير على البنات من النساء، فلا تستوي غيرة الرجل على ابنته وغيرة الأم أبداً، وكم من أم تساعد ابنتها على ما تهواه ويحملها على ذلك ضعف عقلها وسرعة انخداعها وضعف داعي الغيرة في طبعها، بخلاف الأب، ولهذا المعنى وغيره جعل الشارع تزويجها إلى أبيها دون أمها ولم يجعل لأمها ولاية على بضعها ألبتة ولا على مالها[1].

4 – الترف والانغماس في شهوات الدنيا، ومن ذلك ما تقدمت الإشارة إليه في قصة يوسف معى امرأة العزيز ضعيف الغيرة.

5 – تحول الغيرة إلى تقاليد وعادات قابلة للتغير لا سيما مع طول الأمد وتغير أحوال الناس.

فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ الغيرة من الايمان والمِذاء من النفاق، قال: قلت: ما المذاء قال الذي لا يغار[2].

6 – اقتراف الفواحش، فإن أهل الفواحش من أضعف الناس غيرة، وذلك لأن القلب إذا قبل أمراً زينه لصاحبه فيرى مساوئه في قالب من الحسن، قال تعالى: { أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا }[فاطر: 8].

أما أهل الغيرة فهم من أبعد الناس عن الفواحش.

قال بعض حكماء العرب: (ما فَجَرَ غَيُورٌ قطُّ) يعني بالغيور الذي يغار على كل أنثى[3].

---

(1) زاد المعاد ج: 5 ص: 474.

(2) رواه البزار وفيه أبو مرجوم وثقه النسائي وغيره وضعفه ابن معين وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ج: 4 ص: 327 وضعفه الألباني في الضعيفة (1808).

(3) مجمع الأمثال ج: 2 ص: 292.

7 – الدياثة تصبح عادة: وذلك بتفريط المسلمين في شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أدى إلى انتشار الفواحش والمنكرات، وتحولها إلى أمر عادي لا غضاضة فيه عند كثير من الناس، حتى إن الغيور ليعد غريباً في بعض المجتمعات، وكما قيل: كثرة الإمساس تذهب الاحساس.

يقول ياقوت في وصف إحدى البلدان: أهلها عرب وزيهم زي العرب القديم وفيهم صلاح مع شراسة في خلقهم وزعارة وتعصب وفيهم قلة غيرة كأنهم اكتسبوها بالعادة، وذلك أنه في كل ليلة تخرج نساؤهم إلى ظاهر مدينتهم ويسامرن الرجال الذين لا حرمة بينهم ويلاعبنهم ويجالسنهم إلى أن يذهب أكثر الليل فيجوز الرجل على زوجته وأخته وأمه وعمته وإذا هي تلاعب آخر وتحادثه فيعرض عنها ويمضي إلى امرأة غيره فيجالسها كما فعل بزوجته وقد اجتمعت بكيش بجماعة كثيرة منهم رجل عاقل أديب يحفظ شيئا كثيرا وأنشدني أشعاراً وكتبتها عنه فلما طال الحديث بيني وبينه قلت له بلغني عنكم شيء أنكرته ولا أعرف صحته، فبادرني وقال: لعلك تعني السمر، قلت: ما أردت غيره، فقال: الذي بلغك من ذلك صحيح وبالله أقسم إنه لقبيح ولكن عليه نشأنا وله مذ خلقنا ألفنا ولو استطعنا أن نزيله لأزلناه ولو قدرنا لغيرناه ولكن لا سبيل إلى ذلك مع مر السنين عليه واستمرار العادة به[1].

ولله المشتكى.

---

(1) معجم البلدان ج: 5 ص: 97.

الفصل الرابع

غيرة الله تعالى والأنبياء والصحابة والمؤمنين

أوَّل ما يجبُ أن يُعلم أنَّ الغيرة هي صفة ربَّانية، وهي من الصفات التي يحبها الله تعالى كصفة الحياء وغيرها، والحلم، والستر وغيرها، من ذلك قول النبي: "إن اللهَ عزَّ وجلَّ حليمٌ حييٌّ ، سِتِّيرٌ ، يُحِبُّ الحياءَ ، والسِتْرَ"[1].

فهذه جملة من صفات الله تعالى التي يحب أن يراها في خلقه، وعليه فإنَّ الله كريم يحب الكرم والكُرماء، وهو رحيم يحب الرحمة والرُّحماء، وبه فإنَّ الله تعالى لا يحبُّ ضدَّ كل هذه الصفات، فهو لا يحب البخل ولا البخلاء، وعليه فإنَّ الله تعالى غيور، وهو يحب الغيرة ويحب كلَّ غيور، ولا يحب الديوث الذي لا غيرة في قلبه.

فالاتصاف بصفات الله تعالى في هذا الباب من باب الإيمان، وإلَّا فإنَّ المسلم لم يحق توحيد الأسماء والصفات، ومن لم يحقق توحيد الأسماء والصفات، فإنَّ توحيده لله تعالى فيه خلل، فإنَّه يُخشى عليه سوء السبيل، ونخرج من هذا أنَّ التمسُّك بالغيرة هو من أبواب العقيدة، وعليه فالأمر جلل وليس بالهيِّن، ومن أمثلة غيرة الله تعالى:

(1) صحيح أخرجه النسائي 404.

1 – غيرة الله تعالى:

قال رسول الله ﷺ: "لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"[1].

وقال ﷺ: إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وَغَيْرَةُ الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه[1].

وقال ﷺ: " المؤمن يغار والله أشد غَيْرًا"[2].

وقال ﷺ: يا أمة محمد، ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني[3].

2 – غيرة رسول الله ﷺ:

فقد كان النبيُّ ﷺ مع رحمته ورقته وطيبته أشد خلق الله غيرة على نسائه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ وعندي رجل قاعد، فاشتدَّ ذلك عليه، ورأيت الغضب في وجهه، قالت: فقلت: يا رسول الله، إنَّه أخي من الرضاعة، قالت: فقال: انظرن إخوتكن من الرضاعة، فإنما الرضاعة من المجاعة[4].

قال الحافظ بن حجر: والمعنى: تأملن ما وقع من ذلك، هل هو رضاع صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعة ومقدار الارتضاع؟ فإن الحكم الذي ينشأ من الرضاع، إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط، قال المهلب: معناه انظرن ما سبب هذه الأخوة، فإن حرمة الرضاع، إنما هي في الصغر، حتى تسد الرضاعة المجاعة.

وقال المغيرة بن شعبة: قالَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ: لو رَأَيْتُ رَجُلًا مع امْرَأَتي لَضَرَبْتُهُ بالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ عنْه، فَبَلَغَ ذلكَ رَسولَ اللهِ ﷺ، فَقالَ: أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ منه، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي[1].

---

(1) رواه البخاري (4/ 1699)، ومسلم 4/ 2113.

(2) رواه مسلم 4/ 2114.

(3) رواه مسلم 4/ 2115.

(4) رواه البخاري (5/ 2002)، ومسلم 2/ 618.

(5) رواه البخاري (2647) ومسلم 1455.

3 – غيرة داود عليه السلام:

كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم في وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب. فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحبا بأمر الله، ثم مكث حتى قبضت[1].

4 – قصة موسى عليه السلام مع المرأتين:

روى ابن جرير بإسناده عن ابن عباس قال: قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، قال: فأحفظته الغيرة أن قال: لا، وما يدريك ما قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه، وأما أمانته فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال امشي خلفي وانعتي لي الطريق ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين. فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت[2].

---

(1) البداية والنهاية ج: 2 ص: 17.

(2) تفسير الطبري ج: 20 ص: 63.

5 – غيرة الصحابة:

أ– غيرة الصديق: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن نفرا من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس رضي الله عنها، فدخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهي تحته يومئذ فرآهم فكره ذلك. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ وقال لم أر إلا خيرا، فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد برأها من ذلك. ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان[1].

ب – غيرة الفاروق: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرُّمَيصَاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خَشَفَةً، (أي: حركة) فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك، فولّيت مُدبِرًا، فبكى عمر وقال: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار؟![2] أي: أعليها أغار منك؟

ج – غير الزبير بن العوام: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربة وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ. فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني، ثم قال: أخ أخ ليحملني

(1) رواه مسلم ج: 4 ص: 1711ح 2173.

(2) رواه مسلم 1499.

خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى. فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه قالت حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني[1]. (1) رواه البخاري ج: 5 ص: 2002 ح 4926.

هـ – غيرة سعد: عن المغيرة قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: تعجبون من غيرة سعد! والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن[2].

وفي رواية: قالوا: يا رسول الله، لا تلمه؛ فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً، وما طلق امرأة له قط، فماجترأ رجل منا على أن يتزوجها من شدة غيرته[3].

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسمعوا إلى ما يقول سيدكم، إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير مني[4].

عن عائشة رضي الله عنها أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم فأتت (تعني ابنة سهيل) النبي ﷺ فقالت: إن سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوا وإنه يدخل علينا وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا. فقال لها النبي ﷺ: أرضعيه تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة، فرجعت فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة[5].

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه البخاري (6/ 2698)، ومسلم 2/ 1136.

(3) مسند أحمد 4/ 33.

(4) صحيح مسلم ج: 2 ص: 1135 ح 1498.

(5) رواه البخاري (6906)، ومسلم (1453) واللفظ لمسلم.

6 – غيرة المؤمنين:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: إنَّ الإيمان يحمل صاحبه على أن يكون غيوراً لا يرضى بالسوء في دينه ولا في حرماته؛ وذلك أن أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب، فتحمي له الجوارِح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب فتموت الجوارِح، فلا يبقى عندها دفع البتة، ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلاً ولم يجد دافعًا فتمكن فكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي الجاموس (أي: قرونها) التي تدفع بها عن نفسه وعن ولده، فإذا تكسرت طمع فيها عدوه[1].

فالغيور قد وافق ربه سبحانه في صفة من صفاته، ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه، وأدخلته على ربه، وأدنته منه، وقربته من رحمته، وصيرته محبوباً له؛ فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حيي يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وتر يحب أهل الوتر[2]، وبه كذلك فإنَّ الله تعالى غيور يحبُّ كل غيور.

ويذكر أن رجلاً يقال له: الأشجعي بلغ من فرط غيرته أنه منع زوجته الحج خشية رؤيتها الناس، وهذا وإن كان غير مقبول، لكنه يدل على مبلغ غيرته على زوجته، فإنه لما حج بامرأته نظر إلى الناس يوم التروية فهاله كثرتهم فقال: إن رجلاً يُدخل امرأته وسط هؤلاء لمجنون! وضرب وجه راحلته وعاد ولم يحج وقال:

وليس بحرٍّ من يوسِّط زوجـــةً * له بين أهل الموسم المتقصـدِ

وفيهم رجالٌ كالبدور وجوهُهم * فمِن بين ذي طرفٍ كثيرٍ وأمردِ[3].

---

(1) الجواب الكافي ص: 45.

(2) الجواب الكافي ص 44.

(3) محاضرات الأدباء 1/ 426.

وذكر الإمام مالك في موطئه قصة فتى من الأنصار كان حديث عهد بعرس، فخرج مع النبي ﷺ إلى الخندق، ثم استأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى أهله، فلما رجع وجد زوجته على باب منزله، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها وأدركته غيرة (يعني حينما رآها خارج البيت على الباب) فقالت: لا تعجل حتى تدخل وتنظر ما في بيتك، فدخل فإذا هو بحية منطوية على فراشه[1].

قال بعض أهل العلم: ولعمري إن الغيرة لتوجدُ في الحيوان بالخلقة، فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة؟! وما بعد هذا مصاب[2].

---

(1) موطأ مالك 5/ 1423.

(2) رسائل ابن حزم 1/ 279.

7 – غيرة الحيوانات على إناثها:

لما خلق الله ادم وحواء وأمرهما بأعمار الأرض، انزل من التشريعات ما بضبط العلاقة بين الذكر والانثي في ذرية ادم، حتى تصير علاقة طاهرة نظيفة يملؤها العفة والحياء، سعيا وراء استبقاء النوع الإنساني دون اختلاط للأنساب بما يتساوق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وعلي الرغم من أن الإنسان هو المخلوق الأكرم مكانة والأكثر تفضيلا علي كثير من المخلوقات {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}[الإسراء : 70]، إلا أن الله تعالى أنزل من الشواهد في مخلوقاته من غير الإنسان ما يدلل به علي حكمة التشريع وعظمته في العلاقة بين الذكر والأنثي، في آيات باهرة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد.

فعالم الحيوان عالم ملئ بالأسرار، فقد يظن البعض أن العلاقة بين الجنسين ليس لها ضابط أو رابط، ففي لمحة من الغيرة على الأعراض نجد أن بعض ذكور الحيوانات يعتريها حالة من الغضب الشديد أثناء موسم التزاوج تعبيرا عن الغيرة الشديدة علي إناثها، فقد وجد أن ذكور الإبل تتغير سلوكياتها في موسم التناسل بحيث لأتسمح لأي كان أن يقترب من قطيع إناثها، فتري الذكر في حالة الهياج وقد أخرج كيسا منفوخا من جانب فمه يطلق عليه الطرف الحلقي، ويصاحب ظهور الكيس صوت مزعج يرهب به من يسمعه، ثم يخرج إفرازات من غدد قرب الأذنين ويحك بها منطقة الحياض الخاصة به، فإذا ما اشتمها حيوان غريب أدرك قدر الخطر المحدق به فيولي مبتعدا عن هذه المنطقة.

كذلك تبلغ الغير مداها عند ذكر القرد الشمبانزي فتجده غيورا جداً على شريكة حياته، فعلى الرغم من أن الشمبانزي حيوان مسالم، إلا أنه يصبح عدوانياً عندما

يشتبه في أن شريكة حياته غير وفية أو عندما يجدها ترحب بعرض ذكر آخر، فيصل الأمر لكثير منهم، إما أن يشوه شريكة حياته، أو يخرجها من حياته عند الاشتباه في خيانتها، فسبحان الله.

وقال التوحيدي: ويعيش الحجل عشر سنين، ويعمل عشين يجلس الذكر في واحد والأنثى في واحد، وهو من أشد الطيور غيرة على أنثاه حتى إن الذكرين ربما قتل أحدهما الآخر بسبب الأنثى فمن غلب منهما دانت له[1].

وبعد هذا العرض نرى أنَّ الغيرة صفة من صفات الله تعالى التي يحب أن يراها في عباده المكلَّفين، فاقتدى بها الأنبياء والمرسلين، والصحابة المبجلين، حتَّى الحيوانات وهم غير مكلَّفين اتَّصفوا بهذه الصفة الجوهريَّة الدالة على صفاء الفطرة، فهاهو الحيوان كره أن يكون ديوثا، فكيف عجز هؤلاء أن يكون مثل الحياونات؟ أم في صدورهم كبر؟ أم جحدوا الحق وأنفسهم مستيقنة؟

والله هذه أسئلة يُعجزُ عن الإجابة عنها، فكيف يرضى رجل لنفسه الدياثة، والموت كيًّا بالنَّار أرحم منها، ولله المشتكى، وحسبنا والله ونعم الوكيل.

---

(1) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج: 2 ص: 81.

الفصل الخامس

هل الديوث مؤمن؟

إنَّ الديوث صاحب منكر عظيم وجرم كبير، وجرمه هو إقراره للفاحشة في أهله، والنبي ﷺ بين أن هذا الصنف لا يدخل الجنة، ولا ينظر الله إليه، فيما أخرج النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث" وأخرج أحمد عن ابن عمر أيضاً بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث" وهذه الأحاديث تحمل على معنيين:

الأول: أنه لا يدخل الجنة مطلقاً، وذلك فيمن استحل ذلك، لأن استحلاله لما حرَّم الله تعالى يخرجه من الإسلام، وبذلك يحرم عليه دخول الجنة.

الثاني: أن الجنة يحرم عليه دخولها ابتداء، فقد يدخل النار فيجازى على ذنوبه، ثم بفضل الله يدخل الجنة، أو قد يغفر الله له فلا يدخل النار، لكن لا يكون من السابقين في دخول الجنان، وهذا الوعيد في حق من مات من المسلمين قبل أن يتوب من هذا المنكر العظيم.

وعلى هذا فمن استحلَّ الدياثة، فهو كافر قولا واحد لاستحلاله ما حرَّم الله تعالى، ومن لم يستحل الدياثة فهو مذنب بكبير الذنوب فإن مات على تلك الحال نرى أنَّه موعود بعذاب الخلد، ثمَّ إن شاء الله تداركه برحمته لأنَّه من أهل التوحيد.

ومن تاب في الدنيا يتوب الله عليه.

الفصل السادس

كيفيَّة استحلال الدياثة

إنَّ الكثير من الرجال هم في غيابات الدياثة ولا كنَّهم لا يعلمون ذلك، ومنهم من يظنُّ أنَّه فعله مكروه لا أكثر، مثل ؤلاء الذين يشترون لبناتهم ثيابا لا تحمل من الثياب إلَّا الاسم، وهو يظنُّ أنَّه مواكب للعصر، أو أنَّ كل النساء في العصر الحاضر يلبسن مثل هذا اللباس فلا بأس بذلك، ومنهم من يرسل بناته بحجَّة الدراسة إلا بلد غريب لا رقيب عليها ولا حسيب، فعلى هؤلاء أنْ يعلموا؛ أنَّ مجرَّد تعطُّر المرأة لجذب الانتباه يجعلها تتصف بالزنا لقوله ﷺ: "أيَّمَا امرأةً استعطرتْ فمرَّت علَى قومٍ ليجدُوا منْ ريحهَا فهيَ زانيةٌ"[1]، فإن كان هذا الخطاب على مجرَّد العطر فما بالك بحال النساء اليوم؟ وهل يرضى رجل أن تتصف زوجته أو ابنته أو أمه بالزنا؟

كما أنَّ علَّة الحديث هو جذب انتباه الرجال، والرجل مأمور بالتعطر على وجه الندب لقوله ﷺ: "حبِّب إليَّ منْ دنياكمُ النساءُ والطيبُ، وجعلتْ قرَّةَ عينِي في الصَّلاة"[2]، والمعنى من هذا أنَّ المرأة مع اعتياد الرجال على العطور يمنع عليها فعله لجلب انتباههم، فيفهم من هذا أنَّ الغاية ليست في العطر خاصَّة بل في جلب انتباه الرجال بأي شكل كان، وإن كان أدناه هو العطر، فإن كان عقابها على العطر على هذا الحال فكيف بما هو أكثر من التعطُّر، وإن كان الساكت على تعطُّر أهله وخروجهنَّ متعطرات يوصف بالديَّاثة، لأنَّ المتعطرة وصفت بالزنا، والبعل أو الأب أو الأخ المقرُّ لزنا أهله ديوث، وقد وعد بحرمانه من الجنَّة، فكيف الحال بمن هو أسوء منه حالا،

(1) رواه النسائي عن أبي موسى الأشعري.

(2) رواه: أحمد والنسائي والبيهقي والطبراني وأبو يعلى وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم وهو صحيح.

كالذي لا يرفع بالغيرة رأسا، ولا يسأل أهله عن شيء، والواجب عليه أن يسأل أهله عن كل شيء ولو كانت من أولياء الله تعالى لأنَّ سؤالها والغيرة عليها عبادة، هذا لأن المسلم مأمور به، فهاهو زكريا يدخل على مريم العذراء وهي من سيدات النساء في الدنيا والآخرة، فيسألها عن الرزق من أين لها، قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا}[آل عمران: 37]، فهاهي العذراء الشريفة أم نبيٍّ ورسول من أولي العزم تُسأل، والسائل نبي كريم، مع علمه أنَّها طاهرة ظاهرا وباطنا، ولكنَّه يسأل لتعلم أنَّها مسؤولة أمام الله تعالى وأمام من كفلها، فإن كان هذا الحال مع مريم البتول، فما بالنا تركنا نساءنا بلا رقيب ولا حسيب؟ أما علمت أنَّ المرأة كالطفل الصغير، فإن تركت الصَّغير يلعب أمام النار ليحرقنَّ نفسه، وإن تركت المرأة لحالها لتحرقنَّ نفسها بنار جهنَّم، فإن رضيت بفعلها كنت شريكا لها، وصدق من قال: أن للمرأة ثلاثة أبواب في الدنيا لا رابع لها، فإن خرجت تخرج لباب واحد في الآخرة على حسب صبرها على أبواب الدنيا الثلاثة؛ فأمَّا الباب **الأوَّل:** باب بيت أبيه فلا تتعدَّاه خارجا.

والثاني: فإن خرجت فتخرج لباب بيت بعلها فلا تتعداه خارجا.

والثالث: فإن خرجت فتخرج لباب المقبرة، فلا تتعداه خارجا.

وأمَّا الباب الذي في الآخرة: فأمَّا باب الجنَّة وإمَّا باب النَّار، فإن عصت وأبت في الدُّنيا، فتخرج من باب المقبرة إلى باب جهنَّم لا تعدَّاه خارجا إلَّا أن يشاء الله تعالى. وإن صبرت واحتسب فتخرج من باب المقبرة إلى باب الجنَّة لا تتعداه خارجا.

فعلى العاقل أن يقي نفسه وأهله من عذاب الله تعالى، بأن يمنع أهله ويسأل عن كل كبيرة وصغيرة ويمنع كل أسباب الفسق والفجور، من لباس ضيق وتعطر، وأن يُشغلهم بالعلم النافع فإنه نور يقي الإنسان مصائب الدنيا والآخرة، وليعلم أنَّ الساكت على هذا هو مقر على الفعل والمقر شريك إن كان بيده أن يمنع.

الفصل السابع

أنواع الديوث

1 – الديوث الخالص:

وهو الذي يقرُّ على أهله فعل الفواحش، فهذا مستحلٌّ للدياثة حقيقة أو حكما، وحكمه الخروجِ من الملَّة، إن مات قبل التوبة، فإن لم يكن مستحلا لها، مع إقرارها فهو مستهتر بدين الله تعالى وأوامره ونواهيه.

2 – الديوث المستهتر:

وهو الذي لا يهتم بما يدور حوله ولا يسأل أهله عن شيء، وحاله حال سابقه.

3 – الديوث الجاهل:

وهو الذي لا يعلم أنَّ هذا الفعل كبيرة، فهو أيضا ديوث ولا ينفعه جهله، والسبب أنَّ الشهامة والرجولة والغيرة جبلَّة فطريَّة خلقها الله تعالى في قلوب الرجال، حالها حال التوحيد المفطور في قلوب الناس كافَّة، ولكنَّهم انحرفوا "فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ" "فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ" فلا ينفعهم جهلهم، لأنَّ العلم حاصل والحق بيِّنٌ بيان الشمس، لكنَّه لا يخرج من الملَّة لجهله.

4 – المغلوب على أمره: وهذا فيه كلام:

إن كان المغلوب على أمره بأن خاف من تهديد أهله بالسجن إن منعهنَّ من هذا اللباس وأمرهم بالمعروف ونهاهن عن المنكر، فيجب عليه استعمال القواعد التي نبهنا عليها الله تعالى حيث قال: {فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}[النساء: 34]، فيبدأ بالموعضة، فإن كانت المسيئة زوجته فليهجرها في

المضجع، فإن أبت الرجوع فليضربها ضربا غير مبرح، فإن أبت فلا يجب عليه أن يرضى بالدياثة، ويجب عليه الطلاق لقوله تعالى: {فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ}[النساء: 24]، قال الطبري: القول في تأويل قوله : "مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ" يعني بقوله: محصنات، عفيفات، غير مسافحات، غير مزانيات ولا متخذات أخدان، يقول: ولا متخذات أصدقاء على السفاح.

وقال أيضا: و المتخذات الأخدان: اللواتي قد حبسن أنفسَهن على الخليل والصديق، للفجور بها سرًّا دون الإعلان بذلك[1].

فالمسافحة: هي المعلنة بالفجور، والمتخذة: هي التي اتخذت خليلا واحدا تفسق معه سرا، ولو تلاحظ أنَّ المسافحة هي المجاهرة وهي أشد من المتَّخذة، فلو نظرت إلى أحوال البنات أشباه العاريات المتعطرات لإغواء الرجال، فترى أنَّهن من جنس المسافحات، فهذا النوع من النساء لا يجوز الزواج منهن ابتداء، فإن حصل وتزَّوج بها بجهل ثمَّ فتح الله عليه بتوبة تنجيه من عذاب الله تعالى، فليعضها كما قال الله تعالى، فإن أبت فليهجرها في الفراش وهجره لها واجب، فإن أبت فليضربها، فإن أبت فلا يحلُّ له العيش معها ولا وطأها، بل الطلاق، وأمَّا بالنِّسبة إلى ضربها إن علم أنَّه لن يفيد ضربها ابتداء وأنَّ ضربه لها سيقوده إلى التَّهلكة فليحفظ نفسه وليطلقها بعد الوعظ والإرشاد والتأني في ذلك ثم الهجر ثمَّ الفراق.

---

(1) تفسير الطبري.

فإن استُضعف في الطلاق بأن تفرض عليه غرامة لا يقدر عليها فينجر عنها السحن، فإمَّا أن يصبر على ذلك، أو ليتبرَّأ منها، وهو الحال نفسه بالنِّسبة للبنت، إن أبت النصح فلا تيأس أعد الكرَّة سرا وجهرا، وحببها في تقوى الله تعالى، واحملها للمساجد وعرفها بالصالحات وحاول أقصى جهدك في ذلك، فإن أبت فالبراءة، ولا ترضى لنفسك الدياثة، ولا ترضى لنفسك الخزي ولا تبع مروءتك بأي ثمن.

الفصل الثامن

هل للديوث من توبة؟

نقول: يا طالب التوبة أبشر فربك الغفور ذو الرحمة، وهو التوَّاب الرَّحيم، فقد قال وقوله الحق: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ}[طه: 82]، فاشترط سبحانه شروطا وهي: التوبة أولا، وتكون: بالإقلاع عن الفعل، والندم عليه، والإصلاح ما استطعت، وقبل كل شيء النيَّة الخالصة، ثم الإيمان وهو أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فإيمانه بالله تعالى، بالإنقياد إلى أوامره والانتهاء عند نواهيه وطاعته سبحانه ظاهرا وباطنا، وإيمانه بملائكته أن يعتقد أنَّهم رسل الله تعالى وكل منهم مكلَّف بمهام، وإيمانه بكتبه أن يصدق بكل ما جاء من الكتب وأن يعلم أن القرآن هو المهيمن عما سبق من الكتب، وأن يأتمر بأوامر القرآن ويصدق أخباره، وإيمانه برسله بأن يؤمن بكل نبيٍّ ولا يفرَّق بين أحد منهم وأن يعلم أن سيدَّهم وخاتمهم هو محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ﷺ وأنَّ شريعته ناسخة لكل شرائع من قبله، وأن يستسلم لحكم رسول الله ﷺ في كل أحواله، وإيمانه باليوم الآخر أن يعتقد بأنه مردود إلى الله يوم القيامة بعد الموت وأنَّ يؤمن بكل ما أخبر به الله تعالى ونبيُّه ﷺ عن أخبار ما بعد الموت ويصدَّق بها تصديقا جازما منافيا للشك، وإيمانه بالقدر خيره وشره أن يعلم أنَّ كل شيء بأمر الله تعالى، وأنَّ ما أصابه ما كان ليخطئه، وأنَّ ما أخطأه ما كان ليصيبه، وأنَّ الحكم والأمر لله أوَّلا وآخرا، وأنَّه لو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوه بشيء ما نفعوه إلَّا بشيء قد كتبه الله له، وأنهم لو اجتمعوا على أن يضروه بشيء ما استطاعوا إلا بشيء قد كتبه الله، ويعلم أنَّ قدر الله تعالى مكتوب منذ الأزل فليرح باله فقد رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف.

وهذه الشروط سهلة ففيها حلاوة القرب، ونور التعرف إلى الله تعالى، والاشتياق إلى الزيادة من العلم والقرب.

ويُبشر الله تعالى التائبين ويقول: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[الزمر: 53]، ففي هذه الآية لم يستثنى الله تعالى أحدا، فكل حي تاب من ذنبه يتوب الله عليه ولو كان شركا بالله، والتائب من الذنب كما لا ذنب له، قال رسول الله ﷺ: "التَّائبُ من الذَّنبِ كمن لا ذنبَ له"[1].

---

(1) أخرجه ابن ماجة (4250)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (10/ 150) (10281 والقضاعي في ((مسند الشهاب)) 108.

الفصل التاسع

عذاب الكاسيات العاريات

قال رسول الله ﷺ: "صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا"(1).

في هذا الحديثِ يُبيِّنُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ صِنفَينِ، أي: نَوعين مِن أهْلِ النَّارِ لم يَرَهُما بعدُ، أي: في عَصْرِه، بل سَيأتيانِ بَعدَه:

الصِّنف الأوَّل: قَومٌ معهم "سِياطٌ" جمْعُ سَوطٍ كأذنابِ البقرِ، يعني: أنَّها سِياطٌ طويلةٌ وله رِيشةٌ يَضرِبون بها النَّاسَ، أي: بِغيرِ حقٍّ وهؤلاء هُمُ الشُّرَطُ الَّذين يَضرِبونَ النَّاسَ بِغيرِ حقٍّ.

والصِّنف الثاني: وهو مرادنا: نِساءٌ كاسياتٌ، أي: يَستُرْنَ بعضَ بَدنِهنَّ ويَكشفْنَ بَعضَه؛ إظهارًا لجمالِهنَّ وإبرازًا لِكمالِهنَّ، وقيل: يَلبسْنَ ثَوبًا رقيقًا يَصفُ بَدنَهنَّ وإنْ كنَّ كاسياتٍ لِلثِّيابِ عارياتٍ في الحقيقةِ، أو كاسياتٍ بِالحُلَى وَالحُلِيِّ، عارياتٍ مِن لباسِ التَّقوى "مُميلاتٌ"، أي: مُمِيلاتٌ قلوبَ الرِّجالِ إليهن، أوِ الْمَقانِعَ عَن رؤوسِهِنَّ؛ لِتظْهَرَ وُجوهُهنَّ، وقيل: مُميلاتٌ بِأكتافِهِنَّ، وقيل: يُمِلْنَ غيرَهنَّ إلى فِعلِهنَّ المذمومِ، "مَائلاتٌ"، أي: إلى الرِّجالِ بِقُلوبِهنَّ أو بِقوالبِهنَّ، أو مُتبختراتٌ في مَشْيِهنَّ، أو زائغاتٌ عَنِ العَفافِ، أو مائلاتٌ إلى الفُجورِ والهوى، وقيلَ: مائلاتٌ يَمْتَشطْنَ مِشطَةَ

(1) رواه مسلم 2128.

الْمَيلاءِ، وقيلَ: مِشْطَةَ البَغايا، مُمِيلاتٌ يَمشطْنَ غيرَهنَّ بِتلكَ الْمِشطَةِ "رؤوسُهنَّ كَأسنمةِ البُخْتِ"، والبُخِتيُّ مِنَ الجِمالِ، والأُنثى بُختِيَّةٌ جمْعُ بُخْتٍ وَبَخاتيٍّ، وهي جِمالٌ طِوالُ الأعناقِ، واللَّفظةُ مُعرَّبَةٌ، أي: يُعظِّمْنَها ويُكبِّرنَها بِلفِّ عِصابةٍ ونحوِها، وقيلَ: يَطمَحْنَ إلى الرِّجالِ لا يَغضُضنْ مِن أبصارهِنَّ، ولا يُنكِّسْنَ رؤوسَهنَّ، "المائلةِ" صِفةٌ لِلأسْنِمَةِ، وهي جمْعُ السَّنامِ، والمائلةُ مِنَ الْمَيلِ؛ لأنَّ أعْلَى السَّنامِ يَميلُ لِكثرةِ شحْمِه، لا يَدخُلْنَ الجنَّةَ ولا يَجدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَتُوجدُ مِن مَسيرةِ كذا وكذا، أي: مئةِ عامٍ مثلًا، ومعناه: أنَّهنَّ لا يَدخلْنَها ولا يجدْنَ رِيحَها حينَ ما يَدخُلُها ويَجدُ رِيحَها العَفائفُ الْمُتورِّعاتُ، لا أنَّهنَّ لا يَدخُلْنَ أبدًا.

فهذا النوع من النساء لهن أضعاف مضاعفة من العذاب، الأوَّل: أنَّها فاجرة، الثاني: أنَّها فعلت فعل الشيطان بإغراء الرجال، الثالث: أنها كانت سببا في جعل الرجال من أهلها دُيَّثا، فلا يحسبنَّ هؤلاء أنَّهن بمفازة من العذاب والله يقول: {فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[آل عمران: 188]، ولن ينفعها يوم القيامة شيء فقد نصح الله تعالى فأكثر النصح وأمرهنَّ ووعدهنَّ وتوعدهنَّ فقال تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[النور: 31]، قال السعدي: لما أمر المؤمنين بغض الأبصار وحفظ الفروج، أمر المؤمنات بذلك، فقال: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ} عن النظر إلى العورات والرجال، بشهوة

ونحو ذلك من النظر الممنوع، {وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} من التمكين من جماعها، أو مسها، أو النظر المحرم إليها، {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ} كالثياب الجميلة والحلي، وجميع البدن كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة، لا بد لها منها، قال: {إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} أي: الثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} وهذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أن الزينة التي يحرم إبداؤها، يدخل فيها جميع البدن، كما ذكرنا، ثم كرر النهي عن إبداء زينتهن، ليستثني منه قوله: {إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ} أي: أزواجهن {أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ} يشمل الأب بنفسه، والجد وإن علا، {أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن} ويدخل فيه الأبناء وأبناء البعولة مهما نزلوا {أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ} أشقاء، أو لأب، أو لأم. {أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ} أي: يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقا، (في الحدود الشرعيَّة).

(أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) فيجوز للمملوك إذا كان كله للأنثى، أن ينظر لسيدته، ما دامت مالكة له كله، فإن زال الملك أو بعضه، لم يجز النظر (إن أمنت عليه سيِّدته من الفتنة وإلَّا فلا يجوز فالعلَّة هي الفتنة سواء كانت لحر أو عبد) {أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ} أي: أو الذين يتبعونكم، ويتعلقون بكم، من الرجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة، كالمعتوه الذي لا يدري ما هنالك، وكالعنين الذي لم يبق له شهوة، لا في فرجه، ولا في قلبه، فإن هذا لا محذور من نظره، (في حدود ما شرع الله).

(أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) أي: الأطفال الذين دون التمييز، فإنه يجوز نظرهم للنساء الأجانب، وعلل تعالى ذلك، بأنهم لم يظهروا على عورات

النساء، أي: ليس لهم علم بذلك، ولا وجدت فيهم الشهوة بعد ودل هذا، أن المميز تستتر منه المرأة، لأنه يظهر على عورات النساء.

(وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) أي: لا يضربن الأرض بأرجلهن، ليصوت ما عليهن من حلي، كخلاخل وغيرها، فتعلم زينتها بسببه، فيكون وسيلة إلى الفتنة.

ويؤخذ من هذا ونحوه، قاعدة سد الوسائل، وأن الأمر إذا كان مباحا، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض، الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة، منع منه.

ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك، أمر الله تعالى بالتوبة، فقال: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ} لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرا وباطنا، إلى: ما يحبه ظاهرا وباطنا، ودل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّه} أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة[1].

---

(1) تفسير السعدي.

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى التوبة لنا ولجميع المسلمين، وأن يهدي نساءنا وبناتنا إلى صراطه المستقيم، وأن يردَّنا إلى دينه ردا جميلا، وأن يقينا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا من عباده الطائعين المخلصين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

مقدِّمةٌ 7
الفصل الأوَّل: تعريف الديوث – الديوث لغة: 11
الديوث اصطلاحا 12
الفصل الثاني: وعيد الشارِع للديوث 14
حكم الدياثة 17
الفصل الثالث: الغيرة – الغيرة لغة – الغيرة اصطلاحا – فوائد الغيرة 18
من مظاهر عدم الغيرة 20
مظاهر الدياثة عند بعض المسلمين 23
أسباب ضعف الغيرة، وانتشار الدياثة 26
الفصل الرابع: غيرة الله تعالى والأنبياء والصحابة والمؤمنين 31
غيرة الله تعالى – غيرة رسول الله ﷺ 32
غيرة داود عليه السلام – قصة موسى عليه السلام مع المرأتين 33
غيرة الصحابة – غيرة الصديق – غيرة الفاروق – غير الزبير بن العوام 34
غيرة سعد: 35
غيرة المؤمنين 36
غيرة الحيوانات على إناثها 38
الفصل الخامس: هل الديوث مؤمن؟ 40
الفصل السادس: كيفيَّة استحلال الدياثة 41
الفصل السابع: أنواع الديوث – الديوث الخالص – الديوث المستهتر –
الديوث الجاهل – المغلوب على أمره 43
الفصل الثامن: هل للديوث من توبة؟ 46

الفصل التاسع: عذاب الكاسيات العاريات................................ 48
الفهرس.. 53

هذا وبالله التوفيق وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.